معهد الدين القيم

باشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس

(شرح السنة للبربهاري)

شرح الشيخ (علي الرملي) حفظه الله

المستوى الثاني

الدرس رقم (19)

التاريخ: الأحد 28/صفر/1441 هـ

27/أكتوبر/2019 م

الدرس التاسع عشر من شرح السنة للبربهاري

الحمد لله، والصّلاة والسّلام على رسول الله.

كان المؤلف قد تَحدّث عمّا حصل من ظهور أهل البدع، وامتحانهم لأهل السنّة، وفِتنتِهم لعباد الله تبارك وتعالى؛ ثمّ قال:

(والرَّسْمُ وَأَعْلامُ الضَّلالَةِ؛ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلونَ بِها، ويَدْعونَ إلَيْها؛ لا مَانِعَ يَمْنَعُهُمْ، ولا أَحَدَ يَحْجُزُهُمْ عَمَّا يَقولونَ وَيَعْمَلونَ)

يعني وإن كان الحق قد ظهر ومُكِّن في الزّمن الذي لحِق زمن ظهور البدع والضّلالات؛ إلّا أنّ البِدع وأهل البدع باقون، والضّلالة باقية، وبقي أهلها يدعون إليها، ولا يُوجد من يمنَعهم؛ ولا أحد يمنعهم ويَحجُزهم عمّا يقولون ويعملون؛ إذاً البدعْ بقِيَت منتشرة ولم تنتهِ ولن تنتهي إلى آخر الزّمان كما أخبر النّبي ﷺ في أحاديث بأنّ هذه الأمّة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النّار إلّا واحدة؛ قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي"،

وفي رواية: "الجماعة"، وقال عليه الصّلاة والسّلام أيضاً: "إنّه من يَعِش منكم من بعدي؛ فسيرى اختلافاً كثيراً "؛ فالاختلاف واقع حاصل، هو بقدر الله سبحانه وتعالى: أمرٌ حاصل وواقع.

طبعاً هو لا يجوز؛ فالواجب على جميع المسلمين أن يتّحِدُوا على الكتاب والسنّة، وأن يجتمعُوا على الكتاب والسنة، ليس أيُّ اجتماع؛ لا؛ إنما الاجتماع على الكتاب والسنة، أيّ اجتماع هذا: مرفوض؛ الأصل أن نُحقّق ما أراد الله تبارك وتعالى منّا وأن نأتمر بأمر الله تبارك وتعالى بأن نحقّق التّوحيد، وأن نحقّق السنّة، وأن نجتمع بعد ذلك على هذا،

أمّا أن نجتمع على الحقّ والباطل؛ لا؛ ما أراد الله مِنّا هذا؛ أراد منّا أن نجتمع على الحق؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ وَلَا تَفَرَّقُوا﴾؛

إذاً الاجتماع يكون على ماذا؟

على حبل الله الذي هو الكتاب والسنّة ومنهج الحق،

أمّا أن تجتمع مع شخص على الشرك؛ هو يُشرك وأنت توحِّد، هو يبتدع وأنت تتّبع السنّة، وتجتمع معه على ما عنده من ضلالات ومن مفاسد؛ لا؛ هذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به؛ بل

أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وأمرنا بالنّصيحة، وبالبيان؛ حتّى يبقى الحق واضحا صافياً نقيّاً، وينفصل تماماً عن الباطل وعن أهله؛ هذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به؛ فصاحب الباطل مأمور بترك باطله والرُّجوع إلى الحق، وأن يجتمع معنا على الكتاب والسنّة، لسنا مَأمُورين أن نَترك الكتاب والسنّة، وأن نترك الحق؛ ونجتمع مع صاحب الباطل على باطله؛ أبداً.

فقاعدة: (نتعاون فيما اتّفقنا عليه، ويعذُر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)؛ قاعدة باطلة فاسدة تهدِمُ أصول أهل السنّة والجماعة.

نتعاون فيما اتّفقنا عليه، إذا اتّفقنا على نقطة، أيّ نقطة، اتّفقنا على إسقاط الحاكم، وعلى أن نجلس على الكرسي؛ إذاً نتعاون في أن نُسقط الحاكم، وأن نجلس على الكرسي، ويعذر بعضنا بعضاً في الشّرك الذي يقع منّا، والكفر والدّعوة إليه، يعذر بعضنا بعضاً في مخالفة رسول الله ﷺ، يعذُر بعضنا بعضاً في هدمِ شريعة الله من أساساتِها؛ المهم أننا اجتمعنا على أن نحصل على الكرسي؛ فنتعاون في ذلك؛ هذه هي الأسس التي تمشي عليها قواعد الإخوان المسلمين؛ نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضُنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

طيّب؛ أين الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر؟!

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[1].

«والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[2]؛ فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم أصول أهل السنّة والجماعة، وواجب أوجبه الله سبحانه وتعالى على المسلمين؛ بل ما كانت هذه الأمة خير الأمم إلّا بذلك، وهذه القاعدة تهدِم هذا الأصل، (الدّين النّصيحة)؛

فالواجب عليك: أن تنصح وأن تُبيّن للنّاس، وإذا أردت أن تجتمع مع صاحب الباطل على الباطل؛ لن تنصح للمسلمين، ولن تنصح لكتاب الله ولا لسُنّة رسول الله ﷺ، فهذه القاعدة قاعدة باطلة فاسدة.

1- [آل عمران:120]

2- أخرجه أحمد (2301) والترمذي (2169)،وغيرهما عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلّف هنا:(والرّسم وأعلام الضّلالة قد بقيَ منهم قوم يعملون بها)

إذاً الضّلالة قائمة وباقية كما قال عليه الصلاة والسلام: "إنّه من يعِش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً".

فالاختلاف والضّلالات والفِرق مَوجودة، وستفترق هذه الأمّة إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ شئت أم أبيْت؛ هذا حاصل واقع.

لكن ما الحل؟ كيف أعرف الحق من الباطل؟

بيّن لك النّبي ﷺ كلّ شيء؛ ما أبقى لك عُذراً عند الله، لمّا ذكر الثلاثة وسّبعين فرقة؛ قال: "كلّها في النّار إلّا واحدة"؛ يعني: اِلزَم طريق هذه الواحدة وابقَ عليها.

من هي يا رسول الله؟ قال: "الجماعة: ، وفي راوية :"ما أنا عليه وأصحابي"؛ إذاً المنهج الذي كان عليه النبي ﷺ، والمنهج الذي كان عليه الصّحابة: هو المنهج الحق وغيره باطل.

وفي الحديث: "من يعش منكم من بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنّتي"؛ قال: "فعليكم"؛ هذه طريقة الخروج من الخلاف، طريقة الخروج من التّفرّق والتّشرْذُم هي: الرّجوع إلى سنّة النّبي ﷺ: "عليْكم بسنّتي" يعني: هَدْيي، ديني، شرعي الذي أتيْت به؛ القرآن والسنّة على نفس المنهج الذي كان عليه أصحاب الرسول ﷺ: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الرّاشدين من بعدي؛ عضّوا عليها بالنّواجذ".

فكلّ شيء مُبيّن في شرع الله، ما أبقى لك ربّنا تبارك وتعالى عُذراً تتعذّر به أمامه أبداً، ارتكبت ضلالة؛ ستُحاسب على ضلالتِك هذه؛ لأنّ الحقّ بيّن والضّلال بيّن؛ فالْزم طريق الحق واترُك طُرق الضّلال.

الضّلال سيبقى، وسيوجد، وفي بعض الأزمان تكون له قوّة وسطوة، ويكون له ظهور، وفي بعض الأزمان الأخرى يخفَت ويضعُف، وعند ظهوره أو خفوته؛ الحقّ يبقى ظاهراً مَوجوداً، قد يقِل أهله؛ لكنّه يبقى موجوداً بين النّاس لا يختفي أبداً؛ لأن النّبي ﷺ قال: "لا تزال طائفة من أمّتي على الحق ظاهرين لا يضرّهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتيَ أمر الله"[1]،

---

[1]- تقدم تخريجه.

إذاً الحق باقٍ لا يمكن أن يزول، والصّراع بينه وبين الباطل مُستمر؛ امتحاناً واختباراً من الله سبحانه وتعالى؛ يبتلي عباده بذلك؛ حتى يميز الخبيث من الطّيب، فيبقى الضّلال موجوداً ويبقى الحق موجوداً، والصّراع بينهما مستمر إلى قيام الساعة؛ واختر لنفسك أنت بعد ذلك.

قال: ([102] واعْلَمْ أَنَّهُ لَم تَجِئْ زَنْدَقَةٌ قَطُّ إلَّا مِنَ الهَمَجِ الرِّعاعِ؛ أَتْباعُ كُلِّ ناعِقٍ؛ يَميلونَ مَعَ كُلِّ ريحٍ، فَمَنْ كانَ هكذا؛ فلا دِينَ لهُ، قال الله عزوجل: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ}، وَهُمْ عُلَماءُ السُّوءِ أَصْحابُ الطَّمَعِ والبِدَعِ)

الزندقة: النفاق؛ إظهار الإيمان وإبطان الكفر؛

فالزّنادقة هم الذين كانوا يُسمَّون في عهد النبي ﷺ المنافقين.

الزندقة؛ يعني دعوات الضلال، دعوات الكفر؛ ما كانت توجد بين المسلمين؛ من أوجدها؟

أوجدها الهمج الرعاع أتباع كل ناعق،

(الهمج الرّعاع):

يعني النّاس الجُهَّال،

(أتباع كل ناعق):

كل ناعق؛ كل من نعق؛ كل من صرخَ بضلالة؛ اتبعوه على الضلالة، وشجّعوه ونصروه.

قال: (يميلون مع كل ريح):

إذا خرج صارخ من هنا مالوا معه، وإذا خرج صارخ من جهة ثانية مالوا معَه؛ وهكذا، انظروا إلى عامة النّاس اليوم: على حسب الأهواء، حسب ما تستنكِر نفُوسهم، وعلى حسب أهوائهم، يخرج لهم رأس من رؤوس الضلال؛ من رؤوس البدع، يصرخ لهم صرخة يهيّج عواطفهم؛ فيميلون معه، يخرج آخر يصرخ لهم صرخة ثانية، يهيّج عواطفهم؛ فيميلون معه؛ وعلى هذا الحال؛ وأهل البدع والضلال يلعبون بهم؛ تارة يميناً وتارة شمالاً؛ لماذا؟

لأنهم ابتعدوا عن سنّة رسول الله ﷺ، ابتعدوا عن علماء المسلمين النّاصحين لهم، الّذين لا يريدون من وراء النُّصح إلّا رضا الله سبحانه وتعالى وطاعته، ابتعدوا عن العلم؛ فصار الذي يعجبهم هو خطيب مفوَّه، واعظ صاحب لسان، قصّاص حكَواتي! هذا يجتمعون حوله

ويسمعون له؛ وهذا يكون جاهلاً أصلاً؛ وهذا مصداق قول النبي ﷺ:"إذا لم يُبق الله عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً؛ فسُئلوا فأفتوا بغير علم؛ فضلّوا وأضلّوا"؛ فهذا الحال، انظر إلى هؤلاء الأشكال: كان النّاس يميلون إليهم، ويجتمعون حولهم والكثرة تجدها معهم؛ لماذا؟ لأنّ غالب النّاس من هذا القبيل الذي وصفهم؛ همج رعاع؛ أتباع كل ناعق؛ فتجدهم حول هؤلاء القوم، فإذا وقعت فتنة؛ هؤلاء الدُّعاة الجُهّال- من جهلهم- يميلون بعواطفهم، يميلون بأهوائهم إلى تلك الفِتن، ويجرّون عامة النّاس معهم؛ وهذا الذي حصل، رأيتم اليوم بأعينكم هذا الذي جرى؛ سمعنا هؤلاء قصّاص والحَكواتيّة والخطباء وأصحاب الألسن؛ سمِعناهم في الفتن ظهروا وهيّجوا النّاس، وقلبوهم على حُكّامهم؛ وكانت النتائج: ذبح وسلخ فقط؛ هذا هو.

قال: (فمن كان هكذا؛ فلا دين له)

فدينه حسب من يتّبعه؛ يميل معه.

قال: (قال الله عزوجل: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[1]،

يَبغَون، ويتعالَون على بعضهم، ويظلم بعضهم بعضاً؛ فيختلفون، ويتنازعون، ويتفرقون بضلالاتهم.

قال: (وهم علماء السوء؛ أصحاب الطّمع والبدع):

عندنا علماء حق، وعلماء سوء، علماء ضلال؛ ليس كلهم شيئاً واحداً؛ العلماء منهم علماء سوء يدعون إلى الضلال؛ حتى قسّم العلماءُ أَنْفُسُهُم: العُلماءَ إلى ثلاثة أقسام:

- عالم سلطة،
- وعالم أمّة،
- وعالم ملة؛

هؤلاء العلماء.

- **عالم السلطة**: هذا على حسب ما يريد الحاكم يفتي لَه؛ يريد أن يحلل الخمر؛ يحلِّلُ له الخمر، يريد تحليل الزنا يحلِّلُ الزنا، يريد تحليل الربا؛ يحلُّ الرّبا؛ ما عنده مشكلة؛ المهم أن يُرضي السّلطان.

1- [الجاثية:19]

- **عالم أمّة**: هذا لا يهمّه السلطان؛ إنما يهمّه كثرة الناس وعامة الناس؛ أن يجتمعوا حوله ويمشيخوه؛ هذا عالم أمّة.

ماذا تريد الأمّة؟

تريد التيسير والتسهيل! أعطهم من الفتاوى ما يرضيهم؛ من هذا القبيل؛ تريد هذا حلالاً، هذا حلال، يؤلف كتاباً في الحلال والحرام؛ تجدّه كلّه حلال في حلال؛ ليس فيه حرام أصلاً؛ هذا هو؛ هذه الحقيقة؛ هذا يسمّى عالم ماذا؟ عالم أمّة؛ يُفتي الأمّة بما تريد وبما ترضى؛ حتى يحقّق أهدافه منها.

- **والعالم الثالث: عالم الملّة**- الملةُ التي هي الدّين- عالم شريعة، عالم ربّاني، يفتي الناس بما يرضي الله ولا يبالي بخلقه؛ رضي من رضي، وسخط من سخط؛ المهم عنده أن يرضى الله سبحانه وتعالى فقط؛ لأنّه علم أن الله سبحانه وتعالى قد امتنّ عليه بنعمة العلم من أجل أن يؤدّيَه إلى النّاس، وأن يكون ناصحاً لهم، وسيقف أمام الله سبحانه وتعالى؛ بين يدَيْ الله؛ وسيُسأل عن كل حرف يقوله للنّاس؛ فالموقف الذي هو فيه موقف خطير؛ فإمّا أن يؤدّيه بأمانة ويُسأل عن ذلك، أو أن يخون هذه الأمانة وسيُسأل عن ذلك أيضاً؛ هؤلاء هم العلماء ثلاثة.

فأنت قبل أن تأخذ دينك عن أحد؛ انظر إلى حال الذي تأخذ عنه؛ بم يُفتي؟ هل يفتي بـ: قال الله، قال رسول الله، قال صحابة رسول الله؟ أم يفتي بما يهوى الناس، وما يرضون، وما يُحبّونه، وما يميلون إليه؟ أم يُفتي بما يريد السلطان ويرضى عنه السلطان؟ ومن خلال ذلك؛ تعرف كل نوع من هذه الأنواع.

هؤلاء العلماء: (هم علماء السّوء أصحاب الطّمع والبدع)

انظر كيف وصفهم المؤلف؟

لماذا هو عالم سوء؟ لأنّه صاحب طمع؛ هدفه؛ غايتُه: إمّا المال أو الجاه والسلطان؛ الدنيا، المال ليجمعه، أو الجاه والمَشيخة؛ يجمّع النّاس ويكتلهم حوله؛ يا شيخ! يا شيخ! يرضى بهذا ويحبّه، أو يحصل على جاه عند السلطان؛ هذا هو؛ هذا الطّمع، طَمِعَ في ماذا؟ طمع في الدنيا؛ وهذه هي الدنيا.

وعلماء البدع والضّلالات؛ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾؛ في قلوبهم مرض يتعلّقون بالمتشابهات من نصوص الشّريعة؛ كي يُلبّسوا على الناس؛ هؤلاء هم علماء البدع والضّلال.

قال المؤلف: ([103] واعْلَمْ أَنَّهُ لا يَزالُ النَّاسُ في عِصابَةٍ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ والسُّنَّةِ، يَهْدِيهِمُ اللهُ، وَيَهْدي بِهِمْ غَيْرَهُمْ، وَيُحْيي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمُ الذينَ وَصَفَهُمُ اللهُ مَعَ قِلَّتِهِمْ عِنْدَ الاخْتِلافِ؛ فقال: {وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}، فاسْتَثْناهُمْ؛ فقال: {فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[1]، وقال رسول الله ﷺ: "لا تَزالُ عِصابَةٌ مِنْ أُمَّتي ظاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُاللهِ وَهُمْ ظاهِرونَ"[2])

بعد أن ذكر لك المؤلّف حال أهل البدع، وظهورها وبقاءها، وبقاء أهلها؛ أراد أن يُبيّن لك أيضاً أنّ الحقّ باقٍ، مع بقاء الضّلال؛

فقال: (واعلم أنه لا يزال النّاس في عصابة)

يعني في جماعة:

(من أهل الحق والسنّة، يهديهم الله، ويهدي بهم غيرهم)

يوفّقهم الله سبحانه وتعالى للحق، ويوفّق غيرهم عن طريقهم، فهم يدعُون النّاس إلى الحق؛ فيهديهم الله سبحانه وتعالى ويُوفّقهم.

قال: (ويحيي بهم السُّنن)

السنن التي ماتت بين النّاس، أهل البدع لا يحيُون السّنن ولا يُبالون بالسنن؛ هذه من علاماتهم؛ تجد المبتدع لا يبالي لا بكتاب الله ولا بسنة النبي ﷺ، لا يُبالي إذا انتشرت السنّة أو ماتت، إن انتشر التّوحيد أو انتشر الشرك؛ لا يهمّه؛ همّه الوحيد: أن يحقّق ما يريد فقط.

---

[1]- [البقرة:213]

[2]- أخرج أحمد في "مسنده" قريباً من هذا اللفظ، عن عدد من الصحابة، وكذا غير أحمد، ويغني عنه ما أخرجه البخاري(3641)، ومسلم(1037) عن معاوية رضي الله عنه؛ قال: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاس"

أما أهل الحق؛ فغايتُهم تحقيق التّوحيد، وتحقيق السنّة ونشرها بين الناس، يريدون هذا ويسعون إليه.

قال: (ويُحيّي بهم السّنن)

التي كانت قد ماتت؛ سُنن تموت بين النّاس من فترة إلى فترة، أيّ مكان يضعف فيه العلم، يقل فيه أهل السنّة؛ تقلّ فيه السنّة بين النّاس، وإذا قَوِي وجود العلم وأهل السنّة بين النّاس؛ قوِيَت السنّة بينهم وانتشرت؛ هذا هو؛ لذلك قال أحد العلماء: "بلادٌ لا عالم فيها؛ لا تحلّ سُكناها"؛ لماذا؟

لأنّك أنت خُلقت من أجل أن تُطيع الله سبحانه وتعالى، وأن تعبد الله سبحانه وتعالى بما شرع؛ ومن الذي يعلمُك هذا؟

إنه العالم، فإذا كنت في بلد لا تجد فيها من تسأل عن دينك وتتعلّم دينك؛ إذاً لا يحِلّ لك أن تبقى في بلاد كهذه؛ لأنك واجب عليك أن تتعلّم دينك، فإذا لم تجده؛ إذاً يجب عليك أن تبحث عنه.

قال: (فهم الذين وصفهم الله تعالى مع قِلّتهم عند الاختلاف)

هم قليل؛ أهل السنّة بين أهل البدع قليل جدّاً، في الأزمان التي بعد القرون الثّلاثة الأولى؛ الكثرة لأهل البدع، أهل السنِة قليل؛ لكن يبقى الحق على ألسنتِهم جار، ويُظهرُه الله سبحانه وتعالى، ويبقى قويّاً فيهم وبهم.

فقال: (﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾، الذين يختلفون ويتضاربون في كتاب الله سبحانه وتعالى ويبتدعون وينقسمون إلى أقسام؛ هؤلاء هم المَقصودون بهذه الآية.

ثمّ قال: (فاستثناهم)

فاستثنى أهل الحق من هذا الوصف- وصف الاختلاف-؛ فقال:

(﴿فَهَدَى الله الذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَالله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾).

قال: (وقال رسول الله ﷺ:"لا تزال عصابة من أمّتي")

يعني جماعة من أمّة محمّد ﷺ، (من) تبعيضية؛ يعني جماعة بعض أمة محمد ﷺ سيبْقون

على الحق.

قال: ("لا يضرّهم من خذلهم حتّى يأتِي أمرُ الله وهم ظاهرون")،

يعني هذه العصابة ستبقى ظاهرة وسيبقى الحقّ ظاهراً معهم،

"لا يضرهم من خذلهم"،

الذي يخذلهم: هو الذي يترك نُصرتهم ولا يعينهم على الحق،

قال: ("حتّى يأتِي أمر الله") -وفي رواية أخرى " لا يضرّهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتي أمر الله"[1]- المخالفون لهم كُثر، والمُعادُون لهم كثر، المحاربون لهم كُثر، والذين يخذلونهم ويتركون نصرتُهم أيضاً كُثر؛ لكن مع ذلك، ومع كثرة هؤلاء؛ لن يضرّوهم شيئاً؛ ستبقى دعوتهم، قويّة وتبقى كلمتُهم منصورة.

قال: ([104] واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ العِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوايَةِ، والكُتُبِ؛ وإنَما العَالِمُ مَنِ اتَّبَعَ العِلْمَ والسُّنَنَ؛ وإِنْ كانَ قَلِيلَ العِلْمِ والكُتُبِ، وَمَنْ خالَفَ الكِتابَ والسُّنَّةَ؛ فَهُوَ صاحِبُ بِدْعَةٍ؛ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ العِلْمِ وَالْكُتُبِ)

كلمات جميلة؛ العالم ليس الذي تكثر روايتُه أو يُجَمّع الكتب الأكثر؛ يُكثر من رواية الأحاديث، أو يجمّع كتباً، وتصبحْ عنده مكتبة من طوابِق؛ لا؛ لو كانت مكتبتك غرفة صغيرة؛ ولكنّك على السنّة، تعرف السنة، وتدعو إليها؛ فأنت العالم، وذاك لو كانت مكتبتُه طوابق؛ لا تنفعه عند الله سبحانه وتعالى شيئاً إذا لم يتّبع الحق، وليس هو بعالم؛ بل هو جاهل؛ لأنّه ترك الحق واتّبع هواه، ومن ترك الحق واتّبع هواه؛ فهو جاهل حقيقةً، وليس بعالم؛ العالم الذي ينفعه علمه: هو هذا الذي يسمّى عالماً؛ وهذا الذي يعمل بعلمه، يترك هواه ويتّبع سنّة رسول الله ﷺ؛ فالعلم ليس بكثرة الرواية وكثرة الكتب؛ وإنّما العالم من اتّبع العلم والسنن؛ هذا هو العالم، الذي يتعلّم وينقاد، يعمَل، يعتقد؛ يعمل بالحق، ويعتقد الحق؛ هذا هو العالم.

---

[1]- وهي التي سبق تخريجها في "الصحيحين"

أنت وإن سمَّيت نفسك عالماً، إذا جمعت الكثير من الرّوايات، وحفِظت الكثير من الأقوال؛ لكن هذا علم لا ينفع؛ فأنت حقيقةً جاهل؛ لأنّك لو كنت عالماً بحقٍّ؛ لانتفعت بالعلم الذي جمعتَه؛ فالعالم بحق هو الذي يعمل بعلمه؛

(وإن كان قليل العلم والكتب)

أيضاً، وإن كانت كتبه قليلة وعلمه قليل؛ لكن هو الذي يستحقّ أن يسمّى عالماً؛ لأنّه انتفع بِما عنده من علم.

سُئل الإمام أحمد مرّةً عمن يَسألون من بعده، أو من يوصيهم بسؤاله وفُتياه؟ فقال: سلُوا الورّاق، قالوا له: إنّه ليس بكثير علم- علمه ليس بكثير؛ قليل- قال: إنّه رجل صالح ومثلُه يُوفّق لإصابة الحق[1].

فربنا سبحانه وتعالى يوفقك بصلاحك، وإن كنت كثير العلم، إذا لم تكن متبعاً للحق؛ لا يوفّقك الله سبحانه وتعالى.

قال: (ومن خالف الكتاب والسنّة؛ فهو صاحب بدعة)

وقد قدمنا الكلام عن الشخص صاحب البدعة، ومتى يسمّى مبتدعاً؛ فمن خالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ فهو صاحب بدعة؛ يعني ابتدع في دين الله ما ليس منه.

قال: (وإن كان كثير العلم والكتب)

إذاً كثرة العلم وغزارته إذا لم تنفعك باتّباع السنّة وترك البدع والعمل بما تعلّمت؛ فعِلمك لا ينفع، وأنت حقيقةً جاهل لست بعالِمٍ.

قال: ([105] واعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ: أَنَّ مَنْ قالَ في دِيْنِ اللهِ بِرَأْيِهِ وَقِياسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ والجَماعَةِ؛ فَقَدْ قالَ على اللهِ ما لا يَعْلَمُ، ومَنْ قالَ على اللهِ ما لا يَعْلَمُ؛ فَهُوَ مِنَ المُتَكَلِّفِينَ)

دين الله تبارك وتعالى من أين يؤخذ؟

---

[1]- بحر الدم (ص 103)، وتاريخ بغداد (12/ 283).

من الكتاب والسنة وإجماع الأمّة؛ من هنا يُؤخذ الدّين؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نتّبع الكتاب والسنّة، فمن ترك الكتاب والسنّة وأعمل الرّأي، وأخذ برأيه، وقاس الأمور بعقله، وحرّف أدلة الكتاب والسنّة، ولا يوجد عنده أدلّة على تحريفاته؛ فهذا قد قال على الله ما لا يعلم؛ تكلّف قولاً، وادّعى أن هذا القول من عند الله تبارك وتعالى، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أراد هذا، أو قال هذا؛ وهذا باطل، وهو كذّاب فيما يدّعيه؛

كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لو كان الدّين بالرّأي؛ لكان مسح الخفّ من الأسفل أولى من مسحه من الأعلى"، ونحن عندما نمسح الخف نمسحه من أعلى، والمحل الذي يتسخ من الخف هو الأسفل وليس الأعلى، فلو كانت المسألة بالعقل؛ فهكذا تُقال، ولكنها ليست مسألة عقل؛ المسألة مسألة دليل شرعي، وانقياد لحكم الشرع؛ ففي الشرع حِكَمٌ نحن لا نُدركها، فالذي وضع هذا الشرع هو ربّ العزّة؛ أحكم الحاكمين وأعلم العالمين؛ فلا يصحّ أن تجعل عقلَك الصّغير قاضياً وحاكماً على شرع الله سبحانه وتعالى.

رُبّما تدرك حِكمَ الله وربّما لا تُدركها، فإذا جاءك الأمر من عند الله؛ فسلّم مباشرة؛ لذلك لمّا جاءت امرأة تسأل عائشة رضي الله عنها؛ قالت لها: "ما بالنا نقضي الصّيام ولا نقضي الصّلاة؟" - هذا بالنسبة للمرأة الحائض-، يعني ما بال المرأة تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟ فقالت عائشة: "أحرورية أنت؟"، والحرورية هم الخوارج؛ كانوا يحكمون على النصوص الشرعية بآرائهم؛ هؤلاء هم أهل البدع؛ يحكّمون عقولهم على نصوص الشرع؛ فلذلك بادرَت عائشة، وقالت لها: أحرورية أنت؟ يعني أنت من المبتدعة الذين يحكمون على شرع الله بعقولهم؟

قالت: لا ؛ إنّما أسأل، قالت : "هكذا أُمرنا؛ أمرنا أن نقضي الصوم ولا نقضي الصلاة[1]؛ لماذا؟ كان بإمكانها أن تدلّها على السبب، يمكنها أن تقول لها مثلاً: قضاء الصلاة شاق فخفّف الله عن المرأة، وقضاء الصيام ليس شاقاً؛ فهو قليل، ومعها سَنة تقضي فيها؛ فالأمر سهل؛ لكنها ما أرادت هذا؛ أرادت أن تُعلّمها شيئاً مهمّاً؛ وهو التّسليم لأمر الله تبارك وتعالى؛ سواءً فهمتَ المعنى أم لم تفهم؛ سلِّم لأمر الله تبارك وتعالى، إن فهمت الحكمة وعرفتها؛ فالحمد لله، ما فهمت ولا عرفت؛ لا تحكم على شرع الله بعقلك؛ بل اجعل شرع الله هو الحاكم على عقلك،

(1) أخرجه البخاري(321)، ومسلم(335).

وهذه النّقطة هي من أهمّ الأسباب؛ بل هي أهم أسباب ضلال الكثير من أهل البدع والضلال؛ يحكمون على شرع الله بعقولهم بأهوائهم، فيُحكّمون عقولهم على شرع الله تبارك وتعالى، والواجب هو العكس: أن تحكّم شرع الله على عقلك، وأن تتهم عقلك أمام شرع الله؛ فأنت تعلم وتؤمن؛ هذا الأصل فيك؛ أنّك تؤمن بأن هذا الشرع قد جاء من ربّ العزّة، من عند حكيم عليم خبير، وعقلك صغير أمام حكمة الله تبارك وتعالى؛ تُدرك أشياء، وأشياء كثيرة تفوتُك.

قال: (من قال على الله ما لا يعلم؛ فهو من المتكلّفين)

تكلّف شيئاً، وحاول أن يصل إلى شيء لم يؤمر به؛ فوصل إلى خلاف الحق بهذا الفعل، فمن قال على الله ما لا يعلم؛ فهو من المتكلّفين، وذنبه عند الله عظيم.

قال المؤلف: ([106] والحقُّ ما جاءَ مِنْ عِنْدِ الله عَزَّوَجَلَّ، والسُّنَّةُ: سنَّةُ رسول الله ﷺ، والجَماعَةُ: ما اجْتَمَعَ عليه أَصْحابُ رسولِ الله ﷺ في خلافةِ أَبي بَكْرٍوَعُمرَوَعُثْمانَ)

الحق ما جاء من عند الله؛ لا بما وافق هواك أو ركِب على عقلِك؛ فلا علاقة للعقل والرّأي والقياس في دين الله سبحانه وتعالى المنصوص عليه.

الحق ما جاء من عند الله، فإذا ثبت النّص الشّرعي في المسألة؛ سَلِّمْ،

أخبر النبي ﷺ بخروج الدّجال؛ تُسلّم؛

تؤمن: سيخرج الدجّال وبالأوصاف التي ذكرها النبي ﷺ،

أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بنزول عيسى؛ تؤمن بأنّ عيسى سينزِل؛ لماذا؟

لأنّ النّبي ﷺ قال هذا؛ وهذا يكفيني أنا كمؤمن؛ أُصدّق بأنّ هذا الكلام كلام رسول الله ﷺ، وأنّ محمّداً رسول من عند الله تبارك وتعالى، صادق فيما يقول، ولا تُعارض نصوص الشرع برأيك وعقلك؛ كما يفعل العقلانيون! وهم حقيقةً بلا عقول؛ بل هم أصحاب أهواء.

قال: (والسنّة: سنّة رسول الله ﷺ)

يعني عندما تُنسَب أنت إلى أهل السنّة والجماعة؛ من هم أهل السنة والجماعة؟

قال: (والسنّة: سنّة رسول الله ﷺ)،

يعني هدي النّبي ﷺ، عندما تقول: أنا من أهل السنة والجماعة؛ ماذا يعني هذا؟

يعني أنّك تأخذ بهدْي النّبي ﷺ وتسير عليه؛ هذه الكلمة، هذا الاسم؛ اتّخذه علماء السنّة من القديم؛ من القرون الأولى، عندما ظهرت البدع، وصار أهل البدع يدّعون أنّهم على كتاب الله، وأنّهم يأخذون بكتاب الله؛ فسمّى أهلُ السنّة أنفسَهم: أهل السنّة والجماعة؛

لماذا؟ لأنّهم يأخذون بهدي النّبي ﷺ ويجتمعون عليه؛ فقال هنا:

(**والسنّة سنّة رسول الله ﷺ**).

قال: (**والجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان**)؛

ما اجتمع عليه أهل الإسلام من الحق، أهل السنة والجماعة اجتمعوا على الحق؛ اجتمعوا على كتاب الله، اجتمعوا على سنّة رسول ﷺ، واجتمعوا على منهج أصحاب النبي ﷺ؛ وهم أهل السنّة والجماعة.

وما هي عادة أهل البدع فيما يفعلونه مع هذه التّسميات؟

عندما يفرّق أهل السنة بينهم وبين أهل البدع، باسم يفصل الحق من الباطل، ويجد أهل الباطل أن هذا الاسم هو الذي لَه القوّة، وله قَبول عند النّاس؛ يتسمَّوْن به؛ فيسمّون أنفسهم: أهل السنّة والجماعة.

لمّا ظهر العقلانيون من الجهميّة والمعتزلة؛ أهل السنّة سُمُّوا بأهل السنّة والجماعة؛ تفريقاً بينهم وبين المعتزلة والخوارج وغيرهم من الفِرق؛ فصار أهل البدع يتسمّون بهذا الاسم وينتحلونه؛ فجاء الأشاعرة وسمّوا أنفسهم أهل السنة والجماعة؛ فقالوا: نحن أهل سنة وجماعة، ونفارق المعتزلة والجهميّة وغيرهم؛ هذا باطل؛ كلام غير صحيح!

لأنّ الأشاعرة والمعتزلة والجهميّة يتّحدُّون في أصل واحد؛ كلهم أصلهم واحد: تقديم العقل على النقل؛ هذا أصلهم، يحكُمون على شرع الله بعقولهم، ويحكمون على الله بعقولهم؛ هذا هو أصلهم؛ فكيف يُسَمَّون أهل سنّة وجماعة؟!

هذا من الباطل؛ تسمية الأشياء بغير حقائقها، أهل السنّة والجماعة هم الذين يقدّمون الكتاب والسنّة على كلّ شيء، ويجتمعون على الكتاب والسنّة؛ هؤلاء هم أهل السنّة والجماعة؛ فلا يصح أن تسمّى بهذا الاسم الفِرق المخالفة للسنّة، والتي تُقدّم العقل، وتقدّم الهوى، وتبتدع في دين الله بدعاً جديدة.

لكن اليوم اختلطت الأمور عند النّاس؛ وصار الصّوفي يسمّي نفسه أهل السنّة والجماعة، والأشعري يسمي نفسه كذلك، والإخواني يسمّي نفسه كذلك، والدّاعشي يسمّي نفسه كذلك... وهلمّ جرّا؛ فافترق أهل السنّة عنهم بأنّهم أتباع منهج السّلف، يتّبعون منهج السّلف؛ الكتاب والسنّة، على المنهج الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ؛ يفترِقون بذلك عن كل من يدّعي بالباطل أنّه من أهل السنة والجماعة.

فالاسم الحقيقي: أهل السنّة والجماعة؛ هذا ينطبق على من يتّبع الكتاب والسنّة بحق لا غير، ومن تسمّى بأنه أهل السنّة والجماعة، ولا يتّبع أهل السنّة؛ فقد تسمّى بالاسم من أجل أن يُلبِّس على النّاس فقط.

قال: (**[107] وَمَنِ اقْتَصَرَ على سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ وَما كَانَ عليهِ أَصْحابُهُ والجَماعَةُ؛ فَلَجَ على أَهْلِ البِدَعِ كُلِّها، واسْتَراحَ بَدَنُهُ، وَسَلِمَ لهُ دِيْنُهُ إن شاء الله؛ لأنّ رسولَ الله ﷺ قال: "سَتَفْتَرِقُ أُمَّتي"، وبَيَّنَ لنا رسولُ الله ﷺ النَّاجي منها؛ فقال: "ما كنتُ أنا عليهِ اليومَ وأصحابي"؛ فهذا هو الشِّفاءُ والبَيانُ والأَمْرُ الواضِحُ، والمَنارُ المُسْتَنيرُ، وقال رسول الله ﷺ: "إيّاكم والتعمُّقَ، وإيّاكم والتَّنَطُّعَ، وعليكم بِدينكم العتيق"**)

قال: (**وَمَنِ اقْتَصَرَ على سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ وَما كَانَ عليهِ أَصْحابُهُ والجَماعَةُ؛ فَلَجَ على أَهْلِ البِدَعِ كُلِّها**)

يعني من اتّبع كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، وانتهج منهج أصحاب النبي ﷺ؛ فقد انفصل وانقسم عن أهل البدع كلّهم؛ فصار هو في شِقّ وهم في شِقّ آخر.

قال: (**واستراح بدنُه، وسلم له دينه إن شاء الله**)

ولكن ينتهج هذا المنهج بحق؛ لأنّ رسول الله ﷺ قال: "ستفترق أمّتي"، يعني الافتراق حاصل ولابدّ.

قال: (**وبيّن لنا رسول الله ﷺ النّاجي منها؛ فقال**: "ماكنت أنا عليه اليوم وأصحابي"، **فهذا هو الشفاء والبيان والأمرُ الواضح، والمنارُ المُستنير، وقال رسول الله ﷺ: "إيّاكم والتعمُّق، وإيّاكم والتنطُّع، وعليكم بِدينكم العتيق"**[1])

1- لم أقف عليه بهذا السياق مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

يعني: الزموا المنهج الحق الذي هو ما كان عليه النبي ﷺ، وما كان عليه أصحابه، واتركوا الطّرق الأخرى المخالفة؛ وقد بيّنا هذا كله فيما تقدّم من دروس، وبيّنا أنّ طريق الحق طريق واحد، وأنّ طرق الضلال كثيرة، وطريق الحق هو الطّريق الذي كان عليه أصحاب النّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال: (إيّاكم والتّعمُّق):

المبالغة، الغلو،

التّعمّق والتنطع: الغلو، التشدد،

إياكم والتعمّق، إيّاكم والتنطّع؛ المعنى واحد.

قال: (وعليكم بدينكم العتيق)

العتيق، يعني القديم؛ ما هو ديننا العتيق؟

الدّين الذي كان عليه النبي ﷺ، وعليه أصحاب رسول الله ﷺ، هذا المنهج الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى باتّباعه: ﴿ومَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾، ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالذين اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾؛ هَذَا هُوَ طرِيقُ الحَقّ؛ ودعْك بعد ذلك من بُنيَّات الطّريق.

قال: ([108] واعْلَمْ أنَّ الدِّينَ العَتِيقَ: ما كانَ مِنْ وَفاةِ رسولِ الله ﷺ إلى قتلِ عُثْمانَ بنِ عفّانَ- رضي الله عنه-، وكانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الفُرْقَةِ، وأوَّلَ الاخْتِلافِ؛ فَتَحارَبَتِ الأُمَّةُ، وَتَفَرَّقَتِ، واتَّبَعَتِ الطَّمَعَ والأَهْواءَ، والمَيْلَ إلى الدُّنْيا، فَلَيْسَ لأَحَدٍ رُخْصَةٌ في شيءٍ أَحْدَثَهُ، ممّا لَمْ يَكُنْ عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، أو يَكونُ رَجُلٌ يدعو إلى شيءٍ أَحْدَثَهُ مَنْ قَبْلَهُ مِنْ أَهْلِ البِدَعِ؛ فهوَ كَمَنْ أَحْدَثَهُ، فَمَنْ زَعَمَ ذلكِ أوْ قالَ بهِ؛ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ، وخَالَفَ الحَقَّ والجَماعَةَ، وأَباحَ البِدَعَ ، وهوَ أَضَرُّ على هذه الأُمَّةِ مِنْ إبْليسَ)

يريد المؤلف الآن أن يُبيّن لك ما هو الدّين العتيق

فقال: (ما كان من وفاة رسول الله ﷺ إلى قتل عثمان بن عفّان- رضي الله عنه)؛

هذا هو الدّين العتيق: ما كان على عهد النّبي ﷺ، وعلى عهد الخلفاء الرّاشدين.

قال: (**وكان قتله أوّلَ الفُرقة، وأوّلَ الاختلاف**)،

أي: قتل عثمان- رضي الله عنه- أوّل الفُرقة وأول الاختلاف بين المسلمين.

قال: (**فتحاربت الأمّة، وتفرقت، واتّبعت الطمع والأهواء، والميل إلى الدّنيا، فليس لأحد رخصةً في شيءٍ أحْدثهُ**)

ليس لأحدٍ عذر في أن يُحدث في دين الله ما ليس منه.

قال: (**ممّا لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ، أو يكون رجلٌ يدعو إلى شيءٍ أحدثه من قبله من أهل البدع**)؛

يعني ليس لك رخصة في أن تَبتدِع في دِين الله ما ليس مِنه، وليس لك رخصة أيضاً في أن تتبع مبتدعاً في بدعته.

قال: (**فهو كمن أحدثه**)

سواءً كنت أنت مُحدِث البدعة، أو كنت متّبعاً لمبتدعٍ؛ فحُكمُك واحد.

قال: (**فمن زعم ذلك أو قال به؛ فقد ردّ السنّة، وخالف الحقّ والجماعة، وأباح البدع، وهو أضرّ على هذه الأمّة من إبليس**)

الذي يُروّج البدع، ويزهِّد في السنن؛ هذا أضر على الأمة من إبليس؛ لأنّ إبليس الجميع يعرفه أنّه كافر ويريد به سوءً؛ فيحذَرْه، بخلاف هذا الشخص الذي يُلبّس على النّاس ويُغطّي الحق، ويُظهر الباطل بصورة الحق؛ فهذا ينخدع به الكثير من النّاس، فينجرفون وراءه؛ فهو أخطر عليهم من إبليس؛ ومن هنا يأتينا ما يعترض به الكثير من أهل البدع، عندما نُحذِّر من طائفة من أهل البدع؛ يأتيك شخص ويقول لك: لماذا لا تحذر من العلماني؟ لماذا لا تحذر من النُّصَيري؟ لماذا لا تُحذّر من اليهودي والنّصراني؟

عندما تُحذِّرهم من الإخواني، أو من الدّاعشي، أو من هذه الأشكال؛ يرد عليك مباشرة بمثل هذا؛ هذا جاهل؛ لو كان عندهُ شيء من العلم ما اعترَض بهذا الاعتراض؛ هل يوجد مسلم يمكن أن يغترّ باليهودي والنّصراني، ويعتقد أنُه على حق؟

المسلم بحق لا يحصل منه هذا؛ إلّا ما ندر؛ لكن إذا جاء للمسلم رجل في ثياب السنّة؛ ويقول

له أنا صاحب سنّة، وأنا أريد أن أُرشدك إلى الكتاب والسنة، وهو حقيقةً كاذب؛ يدعو إلى نفسه، ويدعو إلى هواه؛ فيُضلُّ العباد، وينحرف بهم عن الطّريق باسم الدّين، والشّرع، والسنَّة!

أيّهما أخطر؟

الثاني هو الخطير على النّاس؛ الأوّل أمره ظاهر معروف، لا يحتاج إلى كثرة كلام ودندنة حول أمر معروف وظاهر عند النّاس؛ الذي يحتاج إلى كثرة الدندنة والتّحذير الكثير: هو الذي يُلبّس على الناس، ويظهر نفسه في صورة داعي الحق الذي يدعو النّاس إلى البصيرة وإلى الصّواب؛ وهو حقيقةً داعية ضلالة في صورة داعية السنّة؛ هذا أخطر على النّاس من ذاك؛ النّاس تنخدع بهذا الذي جاءهم بثياب الإسلام وبثياب السنّة، ولا تنخدع بالذي جاءهم بثياب اليهودية والنّصرانية؛ يَظهرُ كلام من اليهود والنّصارى يقولون الإسلام كذا والإسلام ليس بكذا؛ لا يسمع لهم النّاس ولا يبالون بهم؛ لكن عندما يظهر لهم شخص يقول لهم: أنا أدعوكم إلى الإسلام، أنا مسلم، أدعوكم إلى الحق، وهو في الحقيقة يخدعُهم؛ ينخدعون بمثل هذا؛ فالنّاس بحاجة إلى تحذيرهم من مثل هذا أكثر من حاجتهم إلى التّحذير من ذاك.

يعني عندما تحذّر من الإخواني؛ يكون الواجب عليك في التّحذير من الإخواني أعظم من الواجب عليك من التحذير من اليهودي والنّصراني؛ لأنّ اليهودي والنّصراني النّاس جميعاً تعرف أنه كافر؛ مُنته أمره،

أما الإخواني يأتي للمسلمين بصورة الإسلام؛ وفي حقيقته يدعو إلى العلْمانية، يدعو إلى الدّيمقراطية، يدعو إلى وحدة الأدْيان، يدعو إلى التَجرّد من السُنن بتمييع دين الله سبحانه وتعالى، يدعو إلى خَلط التّوحيد بالشّرك، يدعو إلى صُوَرٍ كثيرة؛ أنواع من (الدّين الأمريكي) كما يُسمّى اليوم؛ هذا دين الإخوان؛ عندما يأتيك بهذه الصورة؛ يأتيك يتكلّم باسم الإسلام، ويأتي ويورد عليك الشبهات، ويتعلّق بالمتشابهات من الكتاب والسنة؛ ستَغتر به، وستظن أنّه صاحب حق؛ لأنك لا علم عندك؛ فوجب عليّ أن أُبيّن حاله وأُدندن حوله أكثر من غيره؛ لهذا تجد أهل العلم يُكثرون من الكلام فيمن يدّعي السنّة، وفيمن يظهر بثوب الإسلام، وهو في الحقيقة يدعوهم إلى الضّلال؛ بل رُبّما يدعوهم إلى الكفر!

البعض يدعو إلى الكفر صراحة اليوم! والنّاس خلفه ماشون!

التّحذير من أمثال هذا من أعظم الواجبات؛ أعظم وجوباً من التّحذير من اليهودي والنّصراني، ذاك لا ينخدع الناس به، وهذا ينخدع الناس به؛ لذلك قال المؤلّف هنا: هذا أعظم خطراً من إبليس؛ إبليس أمره ظاهر معروف؛ لكن مثل هذا أمره خفي عن النّاس.

قال المؤلف: ([109] وَمَنْ عَرَفَ ما تَرَكَ أَصْحابُ البِدَعِ مِنَ السُّنَّةِ، وما فارَقوا فيهِ، فَتَمَسَّكَ بِهِ؛ فَهُوَ صاحِبُ سُنَّةٍ، وصاحِبُ جَماعَةٍ، وَحَقيق أَنْ يُتَّبَعَ، وَأَنْ يُعانَ، وَأَنْ يُحْفَظَ، وهو مِمَّنْ أَوْصى بِهِ رسولُ الله ﷺ)

الأشعري ترك من السنّة: إثبات صفات الله سبحانه وتعالى، عرفت هذا منهم؛ إذن تمسّك بإثبات صفات الله.

عرفت من الإخواني تَجرُّده من السنّة؛ فتمسك بالسنّة؛ فأنت على السنة.

عرفت من القدري تكذيبه بالقدر؛ تمسّك بالإيمان بالقدر.

عرفت من الخارجي تمسّكه بتكفير المسلمين وسَفك دماءهم؛ فاعلمْ حُرمة دمّ المسلم، واعلم عظمة أن تُنزل حكم الكفر على المُعيَّن، واحذر من ذلك؛ إلا بالحق؛ تكون صاحب سنّة، فارقت البدعة؛ هذا معنى كلام المؤلّف؛ إذا عرفت بدعة المبتدع في تركه سنّة من السنن، وتمسكت بهذه السنّة؛ فأنت صاحب سنّة، وصاحب جماعة، وحقيقٌ أن يُتّبع مثل هذا الشخص الذي يتمسّك بالسنن ويترك البدع؛

(حقيقٌ أن يُتّبع) يعني هو أحقّ من غيره بالاتّباع، ويُتبع بحق.

قال: (وأن يُعان) على دعوته، لا أن يُحارَب حسداً.

قال: (وأن يُحفظ، وهو ممّن أوصى به رسول الله ﷺ)؛

أوصى النبي ﷺ النّاس بالتّمسك بمثل هذا، والأخذ عنه؛ لأنّه يدعو النّاس إلى الحق، وإلى التمسّك بسنة رسول الله ﷺ،

يدعو الناس إلى التوحيد ونبذ الشّرك،

يدعو النّاس إلى اتّباع سنّة الرسول ﷺ وترك البدع والضّلالات،

يدعو النّاس إلى الطّاعات وترك المعاصي؛

هذه دعوة أهل السنّة كاملة؛ التوحيد ونبذ الشرك، السنّة وترك البدع والمحدثات، الطّاعة وترك المعاصي؛ هذا ما نريد؛ وهذا هو دين الله كاملاً، وما يضادّه؛ تدعو إلى الحق وتُحذّر مِمّا يُضاد الحق.

سيبدأ بعد ذلك ببيان أصول أهل البدع؛ نترُكها للدرس القادم إن شاء الله

ونكتفي بهذا القدر. والحمد لله.